

السبت 16-02-2008

169- مستويات الحضارة المحكات الساذجة، والفعل اليومي البسيط

تتكون الدنيا كلها من أشياء بسيطة، حتى " الدهر " نفسه هو ليس إلا مجموع خطاته،

الأشياء البسيطة بسيطة، تُرى أولاً تُرى بالعين المجردة .

تتجمع الأشياء البسيطة في أشياء محددة،

ثم تتميز الأشياء المحددة في أشكال منتظمة،

ثم تتشكل الأشياء المنتظمة في المحيط الممتد،

فنعرف في أي عصر نحن، في أي مرحلة، إلى أين،

وإليك بعض الإشارات والمحكات:

مثال (1) هل هناك فرق بين الساعة السابعة والساعة السابعة إلا عشر دقائق، أم أن الساعة السابعة هي هي الساعة السابعة إلا عشرة أو الساعة وعشرة؟

أدرس وأدرّب في قصر العيني على العلاج النفسي منذ 38 عاما بدءاً من الساعة السابعة إلا عشر دقائق صباحاً، كان يوم الثلاثاء (ثم أصبح الأربعاء)، أما المرور الإكلينيكي الأسبوعي فهو يوم الخميس وهو يبدأ الساعة السابعة وخمسة عشرة دقيقة صباحاً، سألتى الدارسون لماذا هذا التوقيت الغريب؟ لم أجب في البداية وتركهم يستنتجون، ثم اضطرت أن أشرح كالتالي: لو كان الموعد السابعة وتأخر أحدهم عشر دقائق أو ربع ساعة، فسوف يكون عذره أننا - على كل حال "حول السابعة"، لكن الساعة إلا عشر دقائق ليس لها "حول"، يصبح سخيفاً أن يقول أنه تأخر لأن الساعة "حول السابعة وعشر دقائق" .. جُزب تقولها وسوف تعرف الفرق.

مثال (2) هل لاحظت - وإن كنت تسافر إلى الخارج قارنت - أنه لم يعد وجود لما يسمى **الباقي** عند التعامل بالنقود بين الناس؟ لا توجد بقية تُمن تذكرة السينما، أو البنزين، أو ورقة الدمغة، أو وجبة طعام، أو تذكرة قطار:

• إن كان هناك باق بالتحديد لما تدفع فهذا مستوى حضارى،

- وإن لم يكن هناك باق مع الاعتذار فهذا مستوى آخر،
- إذا لم يكن هناك باق بدون اعتذار، فهذا مستوى ثالث وأخيراً، وإذا كان عاجبك:
- إذا لم يكن هناك باق بدون اعتذار، مضاف إليه زغرة طاردة لأنك تلكأت تنتظره، فهذا مستوى رابع وهكذا.

مثال (3) المكان: المراحيز في أول شارع المنيل في طرف الحديقة التي تقع بين ورشة المرحوم الاسطى صلاح بلاسى ومحل المرحوم محمد حسن السمكري،

لا أجد سبيلا لوصف مراحل الحضارة التي وصلت إليها هذه المراحيز، لأنها وصلت إلى مرحلة ما قبل البشرية، حتى اعتقدت أن الكلاب تقضى حاجتها في الحديقة ليس حبا في الهواء الطلق، ولكن قرفا مما آل إليه البشر وهم يمارسون نفس النشاط الفسيولوجي.

على مستوى الخيال يمكن تعداد المستويات الحضارية لدورات المياه في عاصمتنا المصون على الوجه التالي:

المستوى الأول: أماكن بلا هواء ولا ماء ولا ورق

المستوى الأعلى قليلا: أماكن بالهواء بدون ماء ولا ورق

المستوى الأعلى: أماكن بالهواء والماء خارج المراحيز وليس داخلها.

المستوى الأعلى: أماكن بالهواء والماء حتى داخل المراحيز لكن الطارد (السيفون) لا يعمل.

على الجانب الآخر من البحر المتوسط يمكن أن تجد مراحيز تلمع مثل حجرة صالون نائب وزير عدنا، لكنها أيضا ذات مستويين حضاريين.

المستوى الأول عليها لافتة تقول: أترك المكان كما وجدته لوسمحت.

المستوى الثاني لافتة تقول: أترك المكان كما كنت تحب أن تجده.

هل عرفت الفرق؟

المستوى الثاني يدفعك أن تصحح خطأ من ترك المكان في حالة لا تُرضى القادم بعده.

تذكرة بالفعل البسيط جدا

ننتقل الآن من رصد علامات الحضارة إلى النظر في هذا الفعل البسيط جدا الذي يتجمع في الظروف الملائمة، مع بشر يستأهلون هذه الصفة فتتخلق الحضارة.

الفعل البسيط المنتظم (تلقائياً) المستمر هو أصل البقاء،
تحدّث قانون البقاء الآن، فلم يعد البقاء للأشطر، أو
للأقوى، أو للأشد افتراساً وأقسى قتلاً، ولا للأغنى ولا للأعلى
صوتاً ولا حتى للأعظم إبداعاً،

البقاء الآن

- لذى النفس الطويل،
- المنظم بإصرار،
- الذى ينجح أن يتجنب المعارك الجانبية، والنشاطات
الدائرية حول نفسها،
- الذى يحسن وضع الطوبة فوق أختها باستمرار باستمرار
دون أن ينظر إلى مدى ارتفاع البناء.

استشهادات:

أولاً: من حكمة المغانين

الحكمة رقم (5) تقول:

الفعل اليومي المتقن .. إسهام رائع في مسيرة الحياة، لأنه
يقربك من قانون "القدر"

الحكمة رقم (4)

".. لا تستهن بالفعل البسيط العادى المستمر، فشمول
رؤيتك لا يغنى عنه، وهو في ذاته إثبات لإنسانيتك وتواضعك
البشرى الرائع في سعيك اليومي المتصل إليه، حتى بغير علمك".

الحكمة (6) تقول:

لا يوجد مقياس لأى صحيح ... إلا الفعل اليومي الصحيح

الحكمة (7) - بعد التحديث- تقول:

حينما تدور الدورة كاملة، ستجد نفسك حيث بدأت:

تقوم بكل الأشياء العادية البسيطة التى كنت تقوم بها
منذ البداية،

هى نفس الأشياء العادية البسيطة،

لتكتشف معنى نبض الأشياء العادية البسيطة.

الحكمة (7)

حين تقوم بالفعل الذى مثل كل الأفعال

وتتحدث الحديث الذى مثل كل الأحاديث،

ولكنك ترى في هذا وذاك الرؤية التى ليست مثل كل الرؤى،

تكون هذا أنت الذى ليس كمثك شئ،

ولكنك أيضا لست خلفا لأى شئ.

الحكمة (10) - تحديث-

إذا أحسنت رؤيته وهو يعمل مُلْتَمَأً بالطيبة

وهو ترس نابض يدبر ترسا صامتاً،
وهو جدول هادئ يروى زرعاً جافاً في إصرار.
سوف تعرف معنى الفعل المستمر البسيط
وقد تتجمل من نفسك إن كان عندك دم،
يا مدمن الإحساس الاستنمائي
والتفكير المكيف الاسترخائي.

الحكمة (11) - تحديث-

لا تتدع العامل البسيط بأن تمدح عمله
شمر وأرنا شطارتك إن كنت صادقاً
أو على الأقل، ساعده يدور دورته ليدرك بنفسه ما حسدته
عليه

فيعيش له وبه أعمق
فيزيد حرمانك منه، وحسدك له
فتكف عن تذوقه نيابةً عنه،

الحكمة (13)

لا تكره الروتين، ... وإلا كرهت طلوع الشمس كل صباح
من أصداء السرة الذاتية (مُحب محفوظ) "البلاغة"
... تذكرت كلمات بسيطة لا وزن لها في ذاتها مثل:

"أنت" ...

"فيم تفكر" ..

"طيب" ...

"يا لك من مآكر" ..

ولكن لسحرها الغريب الغامض جُن أناس ...
وتمثل آخرون بسعادة لا توصف

من قصيدة "أهار المسعى السبعة" (ديوان البيت الزجاجي
والثعبان)

... وَلَعَادَ المعنى

يملاً وجه الكلمة

يهتز الكون

لوعنى القائل: "أهلاً"

أَنْ "أهلاً"